5

وسائل إصلاح المجتمع
في منظور الدكتور محمد راتب النابلسي
من خلال تفسيره المسمى بـ(تفسير النابلسي)

The means of reforming society in the perspective of Dr. Muhammad Ratib Al-Nabulsi through his interpretation called (Tafsir Al-Nabulsi)

أ.م.د. سردار رشيد حمه صالح

مشتاق محمد عبدالله

كلية العلوم الإسلامية/ جامعة السليمانية

Assist.Prof.Dr.sardar rasheed hamasalh\

University of Sulaymaniyah\

Faculty of Islamic Sciences

Mshtaq mohammad abdalla\

University of Sulaymaniyah\

Faculty of Islamic Sciences

ملخص البحث:

تتحدث هذه الدراسة عن مفهوم الإصلاح وأهميته للمجتمعات البشرية بشكل عام، والمجتمعات الإسلامية بشكل خاص، ثم بيان الوسائل الرئيسية التي لها دور أساسي في تعميم الصلاح في المجتمع في منظور الدكتور محمد راتب النابلسي من خلال تفسيره المسمى بـ(تفسير النابلسي)، وتبرز أهمية هذا البحث في عصر تعاني المجتمعات الإنسانية بشكل عام، من أزمة انتشار الفساد في كثير من جوانب الحياة البشرية، من الجانب الديني والفكري والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ومن أهم وسائل الإصلاح التي كشف عنها البحث في تحقيق الإصلاح ما يأتي: وسيلة المنهج، والعقيدة الإسلامية الصحيحة، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقوة الشاملة.

الكلمات المفتاحية: الدكتور محمد راتب النابلسي، الإصلاح، المجتمع الإسلامي، وسيلة الإصلاح، عملية الإصلاح.

A B S T R A C T

This research discusses the notion of reform and its significance for human communities in general, and Islamic societies in particular, then a statement of the main means that have a fundamental role in generalizing righteousness in society in the perspective of Dr. Muhammad Ratib Al-Nabulsi through his interpretation called (Tafsir Al-Nabulsi), the significance of this research is underscored at a period when human societies in general, are suffering from a pervasive corruption crisis in many facets of human life, including religious, intellectual, moral, social, economic, and political elements, among the most important means of reform revealed by the research in achieving reform are the following: the Means of method, the correct Islamic faith, advocacy (call to Islam), promotion of virtue and the prevention of vice, and comprehensive power.

Keywords: Dr. Muhammad Ratib al-Nabulsi, reform, the Islamic society, the method of reform, the process of reform.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، وبعد:

لقد انتشرت في المجتمع الإسلامي في هذه الأيّام أنواعٌ مختلفةٌ وأشكالٌ متعددة من الانحرافات في كثير من جوانب الحياة الإنسانية، فمنها الانحراف العقدي، والانحراف الأخلاقي، والسياسي والاقتصادي، وغير ذلك من الصور التي تبدو واضحة في المجتمعات الإسلامية.

وفي هذه الأحوال تظهر أهمية الوسائل التي بيّنها القرآن الكريم للإصلاح على مستوى الأفراد والمجتمعات؛ لإنّ رسالة الإسلام جاءت رسالة إصلاحية لأحوال النّاس جميعاً إلى يوم القيامة.

وقد اهتم الكثير من المفسرين ببيان جوانب الإصلاح ووسائله وأسسه في القرآن الكريم، ومعالم رقي الفرد والمجتمع وتقدمه، من خلال تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، ومن أشهر المفسرين الذين اهتموا بهذا الجانب من المعاصرين، الدكتور محمد راتب النابلسي، في كتابه: تفسير النابلسي في تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة.

وقد وهب الدكتور محمد راتب النابلسي حياته للإصلاح العقدي، والفكري، والتربوي والاجتماعي والحضاري وكل ما يرتبط بالأمة الإسلامية وهويتها في حين تفاقمت الأزمة الإصلاحية في الأمة الإسلامية، ويظهر جهوده في تفسيره بوضوح.

ونحاول في هذه الورقة البحثية الضوء على بعض الوسائل الرئيسية التي اعتنى به النابلسي لإصلاح المجتمع من خلال تفسيره للآيات التي ذات نطاق إصلاحية.

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث في عصر تعاني المجتمعات الإنسانية بشكل عام، والمجتمع الإسلامي بشكل خاص من أزمة انتشار الفساد في كثير من جوانب الحياة البشرية، من جانب ديني وفكري وأخلاقي واجتماعي واقتصادي وسياسي وحضاري، فيبحث عن الوسائل التي تعين على الإصلاح في هذه الجوانب التي أشرنا إليها.

أسباب اختيار الموضوع:

1. اهتمام القرآن الكريم بالإصلاح.
2. حاجة الأمة الإسلامية إلى الإصلاح وخاصة في هذا العصر.
3. بيان الوسائل التي يجب إتباعها للوصول إلى إصلاح المجتمع.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. بيان مفهوم الإصلاح وأهميته للمجتمع.
2. إبراز وبيان الوسائل التي يحتاج إليها عملية الإصلاح في كل مجتمع.
3. بيان جهود إصلاحية لأحد من المفسرين المعاصرين وهو الدكتور محمد راتب النابلسي.

منهجية البحث: نتبع في بحثنا المنهج الاستقرائي والتحليلي: إذ نقوم باستقراء كلام النابلسي في تفسيره حول تفسير الآيات التي ذات نطاق إصلاحية ثم تحليلها.

خطة البحث: يشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين ثم الخاتمة:

المبحث الأول: مفهوم وسائل إصلاح المجتمع وأهميته في المنظور الإسلامي

المطلب الأول: مفهوم وسائل إصلاح المجتمع

المطلب الثاني: أهمية إصلاح المجتمع في المنظور الإسلامي

المبحث الثاني: الوسائل المعتبرة لإصلاح المجتمع في منظور الدكتور محمد راتب النابلسي

المطلب الأول: الوسيلة الأولى: المنهج

المطلب الثاني: الوسيلة الثانية: العقيدة الإسلامية

المطلب الثالث: الوسيلة الثالثة: الدعوة

المطلب الرابع: الوسيلة الرابعة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الخامس: الوسيلة الخامسة: القوة الشاملة

الخاتمة: بيان أهم نتائج البحث

المبحث الأول: مفهوم وسائل إصلاح المجتمع وأهميته في المنظور الإسلامي

قبل الحديث عن الوسائل التي تمكّنُ المسلم من الوصول إلى تحقيق الإصلاح، نرى ضرورة بيان معنى الوسائل ومعنى الإصلاح وأهميّته، وذلك من خلال مطلبين.

المطلب الأول: مفهوم وسائل إصلاح المجتمع

لابد علينا قبل الدخول في صلب الدراسة من تحديد المصطلحات الأساسية، لتكون أساساً في بناء المفاهيم وعرض القضايا فيما يأتي، ولهذا سيتم الحديث في هذا المطلب حول معنى الوسائل، والإصلاح لغة واصطلاحا.

1. **معنى الوسائل:** مفردها الوسيلة فمعناها عند اللغويين هي: ما يتقرب ويتوصل به إلى غير، يقال: وسلت إلى الله، أسل، وأتوسل، أي: تقربت إليه، وتأتي بمعنى السبب والطريق إلى الشيء وأصل الكلمة من التوسل، وهو: الرغبة والطلب، يقال: وسل: إذا رغب، ومن معانيها أيضا: الدرجة، والمنزلة[1].

وفي الاصطلاح: الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود [2].

2. **معنى الإصلاح:** الإصلاح في اللغة مأخوذ من مادة (صلح)، وهو بمعنى إزالة الفساد، وجعل الشيء صالحا[3].

وفي الاصطلاح: يتبين من التعريفات اللغوية إقران الإصلاح والصلاح بنقيضيهما الإفساد والفساد، والإصلاح والفساد مفردتان متلازمتان يصعب تعريف وفهم إحداهما دون تعريف وفهم الأخرى[4].

قبل الشروع في عرض تعاريف العلماء للإصلاح، فعلينا أن نشير إلى أن الصلاح مقدمة وتمهيد للإصلاح، فلا إصلاح بدون صلاح، والصلاح: "هُوَ سلوك طَرِيق الْهدى واستقامة الْحَال على مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْعقل"[5].

وأما تعريف(الإصلاح) في اصطلاح العلماء فهناك تعاريف عدة، واختلفوا في تحديد هذا المفهوم، فلعل سبب اختلافهم يرجع إلى تحديد العناصر الأساسية لعملية الإصلاح، أو اختلافهم في العلاقة بين الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فعرفه ابن تيمية[6]: بأن "الإصلاح يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلاّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس"[7].

وعرفه الطاهر بن عاشور[8]: بأن المقصد من الإصلاح "هي عملية لتحقيق مراد الله من خلال الالتزام بالدين الصحيح، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية"[9].

وأما تعريفه عند المعاصرين، على الرغم من كثرتها سنقتصر على تعريفين فقط:

أولهما: "الإصلاح هو الرجوع إلى الإسلام ويصحب ذلك منهج كامل متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات يصلح العقيدة والفكر والثقافة، ويصلح السلوك والعبادة، فهو إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي، وهو إصلاح دعوي تربوي تنظيمي شامل متكامل"[10].

والثاني: هو "تصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات"[11].

وأما الإصلاح عند الدكتور محمد راتب النابلسي فقد عرّفه بأنّه: حمل الناس على ترك المنكرات، كما عدّ العمل الصالح هو الإصلاح بذاته؛ لأن علّة وجود الإنسان في الدنيا هو العمل الصالح[12].

وبعد هذا العرض لمفهوم الإصلاح من وجهة نظر بعض العلماء القدامى والمعاصرين، يتضح لنا أن مرجع تعدد تعريفاتهم حول مفهوم الإصلاح، هو تعدد الزوايا التي ينظر منها للمفهوم، وبالتالي فإن العلاقة بين هذه التعريفات هي علاقة تكامل لا تناقض.

والتعاريف السابقة توضح لنا أن مفهوم الإصلاح هو التغيير والتقويم نحو الأحسن والأفضل من سابقه، عن طريق الأخذ بالوسائل التي أرشدنا إليها الإسلام في جميع شؤون الحياة، من جهة تثبيت أكبر قدر من المصالح، ودفع أكبر قدر من المفاسد عن الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: أهمية إصلاح المجتمع في المنظور الإسلامي

للإصلاح أهمية كبيرة في إزالة الفساد والقضاء عليه بشكل سليم، من أجل تحقيق السعادة وتحقيق أعلى مستويات الصلاح للفرد والمجتمع، وسنقصر أهميته في النقاط التالية:

1. الإصلاح من أهم مقاصد الشريعة:

فمن الحقيقة أن المجتمع مكون من مجموعة من الناس تربطهم بعض الصلات والعادات والقوانين، ومادامت في –أي عصر من العصور– هذه المجتمعات باقية وقائمة، الفساد موجود بحد من الحدود، لأن سنة الكون تجري على المعركة بين الحق والباطل، وبين الصلاح والفساد، وهذه المعركة مستمرة ما دامت الحياة مستمرة.

ولهذا أرسل الله تعالى رسله بشرائع لإصلاح ما أعوجه المفسدون في الأرض، وتظهر أهمية الإصلاح كونه من أهم مقاصد إرسال الأنبياء والرسل، فيقول طاهر بن عاشور; في معرض هذا: "إنّ الأديان والشرائع قد جاءت لإصلاح النفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني، وتبيين الحقوق"[13].

ولو أردنا استقراء مادة (الصلاح والإصلاح) في القرآن الكريم لوجدنا دستورا شاملا باسم الإصلاح، فقد تعددت الاستعمالات وتعددت بها المعاني، فجاء ذكر الإصلاح العقدي والأسري والإنساني، وبالمقابل فقد حذّر من الفساد والإفساد.

وبذلك يتضح أن الإصلاح مقصد قرآني جاء تأصيله في القران الكريم بالإشارة إلى مجاله تارة أو أثره تارة أخرى، وقد أكده طاهر بن عاشور; بأن نصوص الشريعة المطهرة التي تدل على المقاصد من التشريع، تستبين من دلالاتها بأن المقصد العام من التشريع هو صلاح الناس من كل جوانبه فهو يشمل صلاح فكره وعمله وصلاح كل ما يمتلكه[14].

وكذا أشار الدكتور محمد راتب النابلسي إلى هذا المقصد من القرآن عند تفسيره لقوله تعالى: { إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... }(الإسراء: 9).

فقال: "هذه آية في غاية البلاغة والجمال، فمعنى: { لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }، أي: للتي هي أصلح[15]، فحيثما طبقت هذا الكتاب يهديك للتي هي أصلح، فإن طبقت القرآن في زواجك، يصبح زواجك سعيدا، وفي القرآن توجيهات فإن طبقت في الطعام والشراب قطفت ثماره في الدنيا وإن طبقته في علاقاتك المالية ولم تأكل الربا يبارك الله لك في مالك وتقطف ثماره، وكذا في العمل، وفي التجارة، وفي التربية، ففي أي شيء طبقت القرآن قطفت ثماره"[16].

ويتضح من كلامه أن تطبيق الشريعة في جزئيات الحياة وكلياتها، يرشد الناس إلى الخير والصلاح، لأن المقصد العام من الشريعة إصلاح الناس تدريجياً عن طريق تطبيق أحكام الشريعة التي توافق مع مصالح العباد.

2.الإصلاح منهج الأنبياء والمرسلين:

وتظهر أهمية الإصلاح من خلال ما أشار إليه المفسرون عند تفسيرهم للآيات التي تتحدث عن قيام الأنبياء والمرسلين بعملية الإصلاح مع أقوامهم، ومنها:

- ما ذكره الله سبحانه وتعالى من الإصلاح على لسان سيدنا شعيب عليه السلام في قوله: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}(الهود: 88)، ويشير الإمام الطبري: في تفسير هذه الآية إلى مقصد سيدنا شعيب عليه السلام بأنه ما أراد فيما أمر قومه به ونهاهم عنه إلا إصلاحهم، بحسب مقدرته على الإصلاح، لئلا ينالهم من الله عقوبة مهلكة بمخالفتهم أمره ومعصيتهم رسوله، وإذا أصاب الحق شعيباً عليه السلام في محاولته الإصلاح إنما هي من الله؛ لأنه هو المعين على ذلك[17].

وأشار الدكتور محمد راتب النابلسي إلى مقصود سيدنا شعيب عليه السلام بأنه يريد صلاح الدنيا والآخرة، وصلاح الدنيا بالبِرّ، وصلاح الآخرة بالتقوى كما في قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ}(المائدة: 2).

- ومنها ما ذكره الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام {وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}(الأعراف: 142).

ويبين الإمام فخر الدين الرازي; ووافق معه صاحب تفسير المنار; بأن مقصد موسى عليه السلام في مطالبته لأخيه هارون عليه السلام في التعامل مع قومه، بأنه يصير خليفته فيهم ومصلحا، يصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل، وعدم إطاعة واتباع المفسدين [18].

ويقول الدكتور محمد راتب النابلسي عن وصية موسى عليه السلام لأخيه في قوله عليه السلام {وَأَصْلِحَ} أي: "اسلك فيهم سبيل الصلاح الذي عُهد منك، ... فإذا قلت للصالح: أصلح، يعني: داوم على صلاحك" [19].

3. الإصلاح سبب السعادة ودفع الهلاك والضنك عن المجتمعات: لقوله تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}(الهود: 117)، يشير الإمام الرازي في تفسير هذه الآية بعد أن فسر الظلم بالشرك، ويستشهد بقوله تعالى {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}(لقمان: 13)، بأن الله تعالى لا يهلك قوما إذا كانوا يقومون بالإصلاح فيما بينم وان كانوا مشركين في أنفسهم، وهلاك الاستئصال لا يأتي بسبب الشرك فقط، بل يأتي الهلاك إذا أساءوا فيما بينهم وسعوا في الفساد والظلم[20].

وكذا يوجه النابلسي إلى أهمية الإصلاح في هذه الآية بأن الله تعالى لا يهلك أي أمة مادام فيهم مصلحون، أو ما دام فيهم من يقوم بالدعوة إلى الله، أو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو فيهم من يحصن الأرض من الفساد[21].

ويقول في مكان آخر "إذاً المؤمن من شأنه أنه يسعى لإصلاح الناس، ومالم تنشأ هذه الرغبة عند المؤمن؛ فإنه لن يفلح، فالله عز وجل يهلك الصالحين وينجّي المصلحين، فهناك فرق كبير

بين الصالح والمصلح. وينبغي أن تسعى لهداية الناس فان صلاح الناس سعد المجتمع، فصلاح الناس يعود بالخير على المؤمن، وفساد المجتمع يعود بالشر على المؤمن، فالمسلمون وحدة وكتلة واحدة، فإذا صلحوا سعد الأفراد بصلاحهم، وإذا انحرفوا شقي الأفراد بانحرافهم"[22].

المبحث الثاني: الوسائل المعتبرة لإصلاح المجتمع في منظور الدكتور محمد راتب النابلسي

مما لاشك فيه أن من أراد إصلاح المجتمعات البشرية بغير الطرائق والوسائل التي أُصلح بها الأولون السابقون فلن يفلح في عمليته ونظريته، فليس إلى غير هذا من سبيل، إنما السبيل إلى إصلاح الناس هو السبيل الذي درج عليه نبينا ﷺ، ودرج عليه صحابته الكرام ثم أتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا، كما قال الإمام مالك ;: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"[23].

وفي العصور الماضية حتى يومنا هذا ظهر بعض الأحزاب والجماعات والأفراد يرفعون رايات الإصلاح باختلاف الأسماء والأغراض، ولكن لم ينجح سعيهم بسبب عدم قابلية الوسائل التي اتخذوها.

وفي هذا المبحث نستعرض أهم الوسائل للإصلاح في منظور الدكتور محمد راتب النابلسي، والتي لا صلاح للمجتمع بدونها، ونكتفي بذكر خمسة منها كأنها أساسية ورئيسية، وهي: المنهج، والعقيدة الإسلامية، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقوة الشاملة.

المطلب الأول: المنهج

إنّ كل عملية إصلاح تحتاج الى منهج يسير عليه، وعرّف العلماء المنهج بأنه عبارة عن الطريق الواضح المستقيم الذي يسير فيه السالك[24]، ونعني بالمنهج هنا، منهج الإسلام ديناً وتشريعاً[25]، فالإسلام في اللغة هو الاستسلام والخضوع والانقياد لأمر الآمر ونهي الناهي وهو الله سبحانه وتعالى[26]، وفي الاصطلاح: "هو النظام العامّ والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد ﷺ من ربه، أو هو مجموع ما أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات في القرآن الكريم وبينتها السنة المطهرة"[27].

وحينما بعث الله محمدًا ﷺ وأنزل عليه وحيه، وأرسل إليه منهجه، لإصلاح المجتمعات وهداية الناس إلى النور والصراط المستقيم فقام به أتم القيام، فأصلح النفوس بالعقائد السليمة، وزوَّدها بالأخلاق الزاهرة، وشرع من العبادات ما يؤكِّد الصلة بين العبد وربّه، ثم نظر إلى أنَّ الإنسان لم يُخلق ليعيش في عزلة عن الناس، وإنَّما خُلِق ليكون واحدًا من جماعة، يتعاونون على القيام بمرافق الحياة، والأخذ بوسائل السعادة[28].

ويقول الدكتور محمد راتب النابلسي: "إن أروع شيء في الحياة وجود المنهج تسير عليه، ودستور تعمل به، وقانون تتصاع له، وأن تستجيب لتوجيه خالق الكون، فليس في الحياة سعادة أعظم من أن تعيش ومعك كتاب الله، ومعك الأمر والنهي، ومعك الحلال والحرام، ومعك الخير والشر، ومعك فلسفة وجودك، وفلسفة حياتك، وفلسفة ما قبل الموت وما بعد الموت..."[29].

فأشار إلى أن كل ذلك موجود في منهج الخالق سبحانه لإكرام مخلوقه، عن طريق كتابه العزيز وهو القرآن الكريم، فيه أخبار عن الأمم السابقة، وفيه الأحكام المتعلقة بالحلال والحرام والأمر والنهي، وفيه سبيل الرشد، وفيه بيان الشر والضنك والخزلان، وفيه المعلومات والأخبار لما بعد الموت.

وشيء جميل معرفة هذا المنهج ومتابعته، ومعرفة الحق واتباعه، ومعرفة الخير والانضمام إلى أهله، ومعرفة الشر والابتعاد عن أهله، والروعة ليست في معرفة الحق فقط بل في تطبيقه، وأكبر سعادة أن تعيش وفق منهج الله [30].

وأشار أيضا إلى سبب رئيسي من أسباب إنزال الشرائع من عند الله على جميع رسله: بأنه جاء ليضبط حركات الإنسان التي أودعها الله له، حتى تكون في مصالحه العاجلة والآجلة، وعلى الإنسان أن لا يتوهم أن القوانين والأحكام من الأمر والنهي قيدٌ لحريته، وإنها ضمان لحريته وكرامته ومصالحه، ومن المؤكد أن اتباع هذا المنهج يقود الناس إلى السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة[31].

ويرجع سبب ذلك إلى أن الإسلام منهج متكامل للإصلاح؛ لأن الإسلام دين ومنهج يتوافق مع الفطرة التي فطر الناس عليها، ومع العقل الذي وهبه الله للبشر كأكرم مخلوقاته، وعندما خلق الله تعالى الإنسان، جعل له منهجا وهذا المنهج السماوي تتناسب تمامًا مع العقل البشري، والعقل السليم لن ينكر الأمر الإلهي أبدًا، ولا شيء في القرآن كمنهج لا يتوافق مع العقل البشري، وهذا المنهج الإلهي أيضًا يتوافق مع الفطرة تماما؛ لأنّ مصدر تكوين المنهج والعقل والفطرة من عند الله، إذا لا يمكن أن يكون العقل والفطرة مخالفا لمنهج الله [32].

ومقصد تطابق الإسلام مع العقل، العقل الذي يبنى على الدليل، فلم يأخذ شيئاً إلا بالدليل وكذا لم يرفض شيئاً إلا بالدليل، وهذا عقلية علمية، وأما غير ذلك يسمى عقلية عامية أو خرافية، والقرآن يتطابق النوع الأول تماما، ولكن لم يتطابق النوع الثاني لأنه عقلية عامية أو خرافية يبنى على تقليد الأعمى، فلم يبنَ على تفكير وتمحيص وطلب الدليل[33]، لقد وضح النابلسي هذين العقليتين عند تفسيره لقوله تعالى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}(البقرة: 170)

وأما صلاحية الإسلام لإصلاح المشاكل البشرية، يرجع إلى موافقته وتطابقه للفطرة التي فطر الناس عليها، والفطرة كما عرفها العلماء: "هي جِبِلَّة الله التي جَبَلَهم عليها من التهيُّؤ لمعرفته والإقرار به"[34].

وقد يرجع النابلسي أهمية مسألة تطابق الفطرة مع منهج الإسلام، ويستشهد بقوله تعالى: { أَلَا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِير}(الملك: 15)، بأن الله تعالى أعلم بأحوال عباده، فوهب له الفطرة حتى يهيئه لقبول المنهج الذي بها صلاح حياته، والإنسان حينما يعمل وفق منهج الله دليل على انسجامه مع فطرته، ولاشك من الانسجام التام بين الفطرة والتكليف، فالله وهب للإنسان حب العدل، وأمره بأن يعدل، فإن عدل يوافق عمله وسلوكه مع فطرته، فلذا يمكن أن نقول بأن الفطرة منسجمة مع معرفة الله والإيمان به وطاعته[35].

ومن الخصائص المتميزة لمنهج الإسلام كوسيلة لإصلاح المجتمع الشمولية، الإسلام كمنهج للحياة بصفاته الشمولية قادر على ضبط جميع مجالات الحياة البشرية، ومكافحة الفساد وإزالته سواء كان على مستوى الفرد أو المجتمع؛ لأن الإسلام بصفة عامة ما هو إلا استجابة ضرورية لشعور ومتطلبات الإنسان في المجتمعات بما يصلح من شأنه، ويضع له قواعد عامة لحياته، فلابد وأن يكون صورة واقعية؛ منبعثة من بيئة المجتمعات وموروثاتها في العادات والتقاليد، ويكتسب مثل هذا الشرع خصائص شمولية وصلاحية لكل زمان ومكان، وإلى زمن أطول[36].

ولقد أنشأ بعض الناس في القديم والحديث مذاهب ومناهج وجماعات إصلاحية أو دعوات وفلسفات إصلاحية، اقتنع منشؤها وروادها إلى كفايتها للإصلاح في المجتمع والنهوض من جديد، ولكن إن استعرض للدراسة والمقارنة يجد بأن كلها لم يقدر على الإصلاح إلا من جانب معين، إما أخلاقيا أو اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا أو ثقافيا أو دينياً، أما الشريعة الإسلامية بصفته الشمولية، فهي مجموعة من الأحكام والقوانين من الأمر والنهي التي أوجب الإسلام بتطبيقها لتحقيق أهدافه الإصلاحية في المجتمع البشري[37]، ويرجع النابلسي ذلك إلى شمولية مصدره وهو آخر رسالة إلى جميع الشعوب والأمم، لكل متطلبات وحاجات الحياة في كل مجتمع إلى نهاية العالم[38].

ولقد أشار إلى أن هذه الشمولية يظهر واضحاً، حينما يقابل بين التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية، مشيرا إلى أن هناك فرقا كبيرا بين التشريعات الإسلامية وبين القوانين الوضعية، لأن التشريعات الأرضية نتيجة معرفة وتصورات وثقافة واختراع البشر، وهذه النتائج مبنية بحسب الاتجاهات والمذاهب المتداولة بين الناس، مع أن نظر الإنسان قاصرة، حيث يرى الأشياء من زاوية واحدة، لذلك تشريعاته يعدل كثيرا وأحيانا تلغي لعدم صلاحيتها، ولكن تشريعات الإسلام ليست كذلك، وهي من خالق البشر، لذا فمن نعم الله الكبرى على المسلمين أن التشريع من عند خالق السماوات والأرض[39].

وبهذه الخاصية فالشريعة الإسلامية مختلفة عن شرائع الديانات السابقة، ولما كانت الديانات السابقة محدودة زمانا ومكاناً، وأيضا محدودة في أبعادها واهتماماتها، باستثناء الدعوة إلى عبودية الله وحده واجتناب الطواغيت، كما أشار إليه النابلسي في تفسير قوله تعالى: {لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ

شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}(المائدة: 48)، فيقول: "الدين واحد وأما الشرائع؛ فمختلفة بحسب العصور والتطورات، فالله عز وجل يقول: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ}(الشورى: 17)، وقديما كان لكل قوم مشكلات؛ لأن الأقوام في تباعد، فقوم لوط انحرفوا في العلاقات المثلية، وقوم شعيب بخسوا الكيل والميزان، وقومٌ آخرون أكلوا أموال الناس بالباطل. وهكذا...؛ فلكل قوم نمط من المخالفات والمعاصي، وجاء التشريع معالجا لهذا النمط ذاته"[40].

وأما الشريعة الإسلامية عام لجميع حركات الحياة في كل الأحوال، وشامل على أدق تفصيلاته، وهو نظام كامل تدخل في أدق جزئيات حياة الإنسان، فيها أحكام متعلقة بالأمر والنهي، وتفصيلات عن الحياة الاجتماعية، من نظام الأسرة، وتنظيم حركات الحياة الزوجية والأولاد حتى داخل غرف البيت، وفيها نظام للمجالات الاقتصادية، من كسب المال، وإنفاقه، وفيها نظام للحرب والمعاهدات، وفيها نظام للسلم، ونظام لدار السلام ودار الأمان ودار الحرب، وغير ذلك في كل مجالات الحياة البشرية كلياته وجزئياته، فهذا يدل على أنه نظام من أدق الأنظمة، ومن أشدها شمولاً وموافاةً لكل احتجاجات الإنسان[41].

خلاصة: لابد لكل عملية إصلاح من منهج يسير عليه، ومنهج الإسلام بخصائصه الشمولية والوسطية وتطابقه مع الفطرة والعقل منهج واحد صالح لإصلاح الأفراد والمجتمعات في كل زمان ومكان، وفي كل مجالات الحياة، ولكن مع ذلك نجدر الإشارة إلى أن منهج الإسلام بصفاته الكمالية لابد من عرضه وتطبيقه حسب نظام خاص ومنهجية معينة.

المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية الصحيحة

إنّ تثبيت وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الناس يُعدّ من الوسائل الرئيسية لإصلاح المجتمع، والناظر في منهج الإسلام يرى بوضوح أنّه يبدأ بإصلاح الأفراد أولاً، حيث يغرس فيه عقيدته وإيمانه، لأنه أساس متين لصلاحه في جميع شؤنه، وبناء الأفراد عقديا ليس ضروريا للنجاح في حياته الخاصة فقط، بل ضروري أيضا لبناء المجتمع المثالي، فقوام المجتمع أفراده، فحينما يصلح الأفراد يصلح المجتمع أيضا.

العقيدة السليمة من كل الشوائب والخرافات والتقاليد الأعمى قد تؤثر على سلوك الفرد، ويرى النابلسي بأن العقيدة هو المقصود الأول في عملية الإصلاح، لأن كل سلوكيات الفرد ناتجة عن تصورات عقدية، ولا يكون السلوك صالحا حتى تكون العقيدة صالحة، لذا يبين النابلسي أهمية العقيدة لإصلاح الأفراد لانعكاس نتيجتها على السلوك، حيث يقول: "أهم شيء في الإسلام هو العقيدة فإن صحت صح العمل، وإن فسدت، فسد العمل، وما من شيء تعتقده إلا وله انعكاس

على سلوكك، فإن اعتقدت خطأ، فهناك سلوك خطأ، ولو لم يكن للاعتقاد علاقة بالسلوك: لقلنا: اعتقد ما شئت"[42].

ومن الحقيقة أن العقيدة الإسلامية عبارة عن مجموعة من الحقائق الكبرى التي دعت إليها مضامين القرآن الكريم كمنهج شامل للبشرية أفراداً وجماعات، وكذلك عمل الرسول ﷺ ولا سيما في المرحلة المكية من الدعوة، ثم المرحلة المدنية بما فيها من تشريع وأحكام كانت العقيدة محوراً لهذه الأحكام ومنطلقاً لها.

وتؤثر هذه العقيدة على الفرد والمجتمع البشري في جميع المجالات بحيث لا يمكن انعزال أي جانب من جوانب النظم الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية أو غيرها من النظام الإسلامي، عن هذه العقيدة، وبعبارة أخرى كل جوانب الحياة البشرية متعلق ومرتبط بالعقيدة [43].

ومن أهم المسائل في العقيدة التي تؤثر في الإصلاح كما هو معلوم مسائل الإيمان، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبقضائه وقدره، فهذه أركان الإيمان، ومعرفة كل واحد من هذه الأركان والعمل بمقتضاها لها تأثير بالغ في الإصلاح.

ومن الضرورة الإشارة إلى أن النابلسي قد اهتم بركنين من أركان الإيمان في إصلاح الفرد والمجتمع في تفسيره حيث يقول: " إنّ الإيمان كلٌّ لا يتجزأ، وإن محاولة الفصل بين أركان الإيمان محاولة عابثة، فإن الركنين من أكثر أركان الإيمان وردا معا هما الإيمان بالله واليوم الآخر"[44].

وعند استقراء كلام النابلسي في المسائل المتعلقة بالإيمان وتأثيره في إصلاح الفرد والمجتمع، يظهر بوضوح أنّه يحاول ترقية حال الفرد المسلم من دائرة الإيمان التقليدي إلى مرتبة الإيمان التحقيقي المتكون من الارتباط الموثق بين الجانب المعرفي والعملي، ويذهب بنقد الإيمان التقليدي في كثير من المواضع في تفسيره، ويرى بأن الإيمان لا يقبل إلا تحقيقا [45].

ويرى أيضا بأنّ مفهوم الإيمان يمرّ بمرحلتين اثنتين، وهي مرحلة الإيمان النظري المعرفي و الإيمان العملي التطبيقي، حيث يقول عند قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}(الأحزاب: 71)، "هذه الآية فيها كل الدين، فأنت إذا آمنت بالله أطعته، فإن آمنت به ولم تطعه، فكأنك ما آمنت به، فإيمانك ادعاء، وكلامٌ فارغ وليس في الحقيقة إيمانا، وأما أن تطيعه من دون أن تؤمن به؛ فهذا مستحيل، ويقال: الإيمان بلا عمل جنون، والعمل من دون إيمان لا يكون، فلا طاعة من دون إيمان، فمن لوازم الإيمان الطاعة، والإيمان من دون طاعة لا جدوى منه، والأصح أنه ليس إيمانا، فإن كنت آمنت بالله؛ فاتق الله، فالتوحيد هو نهاية العلم، وهو أن تؤمن بالله وحده، ونهاية العمل أن تطيع الله عزّ وجل، وما الدين كلّه إلا كلمتان: معرفة الله وطاعته، والطاعة لا تكون قبل المعرفة، والمعرفة الحقيقية لا تثمر إلا طاعة"[46]، ويقول في مكان آخر: " أن تعرف أنه (لا إله

إلا الله) هذه هي العقيدة، وأن تعبده هذا هو العمل، ولا بد من عقيدة وعمل، لا بد من أن تعرفه، ولا بد من أن تطيعه"[47].

ولقد كان النابلسي يبين الإيمان الحقيقي بأنه يقوم على أساس من الإيمان القلبي، والسلوك العملي، ويقول بعدم التناقض بين الظاهر والباطن، ولا بد أن نعلم أن الالتزام الظاهري لا يكفي إذا لم يصاحبه سلوك موافق للشرع، وبالعكس.

حيث وافق مفهوم كلامه مع ما قاله الإمام الشاطبي: "وكذلك فقد جعلت الأعمال الظاهرة، في الشرع دليلاً على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرماً حكم على الباطن بذلك، أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً"[48].

ومع تأثيرات الإيمان بالله تعالى كأحد أركان الإيمان على صلاح الفرد والمجتمع، فالنابلسي يسلط الضوء على أهمية الإيمان باليوم الآخر في حياة الإنسان، مشيرا بأنه يأتي بعد الإيمان بالله تعالى في تأثيره على صلاح الناس؛ ويشبه الحياة الإنسانية بالغابة من دون الإيمان باليوم الآخر، فيأكل القويّ الضعيف، ويظلم الغني الفقير، فيؤكد بأن الحياة لا تنجح في أيّ مجتمع إلا مجتمعاً يبنى على الإيمان بالله واليوم الآخر.

فتأثير الإيمان باليوم الآخر تكمن في تربية النفوس بالشعور الحقيقي بالمسؤولية، وتحقيق أنواع مكارم الأخلاق في حياة الإنسان بشكل دائمي مستمر بلا رياء ولا نفاق، ومع ذلك له أثر بالغ في انضباط وانتظام جميع الحركات والدوافع والغرائز لدى الإنسان، خوفا من المحاسبة في المستقبل، وطمعا في الوصول إلى الجنة التي عرضها السماوات والأرض[49].

لا شك أن الإيمان بالآخرة يورث في نفس الإنسان التمسك بالقيم الخلقية والمثل العليا، في غيابه غاب الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، فليس هناك الالتزام بالقيم الأخلاقية في الحياة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويبين لنا النابلسي هذه الحقيقة عند تفسيره لقوله تعالى: {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (النحل: 60).

حيث يقول: "هذا الذي لا يؤمن بالآخرة، ولا يحسب حسابًا ليوم الدين، ولا ليوم الفصل، ولا ليوم القيامة، ولا ليوم الحق، ولا ليوم الجزاء، عمله سيئ، وأخلاقه سيئة، وصفاته سيئة، وعقيدته فاسدة، والمطلق على إطلاقه، إنه السوء في كل شيء، فهذا الذي لا يقيم للآخرة وزنا، ولا يحسب لها حسابًا، ولا يؤمن بها، ولا يرجو لقاء الله واليوم الآخر، {مَثَلُ السَوْءِ}، وكله سوء، عقله، وعقيدته، ومشاعره، وأقواله، وأعماله، وتصرفاته، وعلاقاته، وشركته، وزواجه، وجيرته، له فيها كلها: {مَثَلُ السَوْءِ}"[50].

وأخيرا في هذه المسألة يمكن أن نلخص كلام النابلسي على أهمية الإيمان باليوم الآخر في إصلاح الفرد، بأن له آثار إيجابية على الفرد فتنعكس ذلك على المجتمع كله، فيعيش كل فرد من خلاله مطمئناً على نفسه، وعرضه، وماله وذلك في ظل العقيدة التي تبنى على الإيمان الصحيح

بالأركان كله، وفي حين يرى أن المجتمعات التي لم تبنَ أصول تربية أفرادها على الإيمان بالله واليوم الآخر، مجتمعات سلبية، تكثر فيها العداوة والبغضاء والحسد، وتنتشر فيها الأخلاقيات السيئة، وحياتهم مليئة بالخوف، الذي يهدد كيانهم النفسي، والأخلاقي، والاجتماعي.

المطلب الثالث: الدعوة

ومن الوسائل الرئيسية لإصلاح المجتمع أيضا دعوة الناس إلى الإسلام، قال تعالى: {قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...}(يوسف: 108)، فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وقد بلَّغ الرسول الكريم ﷺ هذا الإسلام العظيم أحسن تبليغٍ وأكمله، وظل يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ولهذا أرسله الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}(الأحزاب: 45-46)، فهو ﷺ الداعي الأول إلى منهج الله[51].

فالدعوة وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ولها تأثير بالغ في توجيه الأفراد والمجتمع نحو الصلاح من جانب العقيدة والعمل، ومن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغير ذلك، فيؤكد النابلسي على ذلك عند قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا}(الأحزاب: 45-46)، على أن المهمّة الأولى للأنبياء والرسل هي الدعوة والتبليغ، وهم مكلفون بذلك، ومن أفضل الطرق لاتباع الأنبياء والرسل والتأسي بهم، هي الدعوة إلى الله مع العلم والبصيرة.

ثم يلفت النظر إلى مهمة المؤمنين في الدعوة إلى منهج الله، فيستنبط ذلك من قوله تعالى {وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)}(العصر: ١-3) فيبين سبيل النجاح والبعد عن الخسران، مقتصرا على أربعة أشياء: "أن يؤمن بالله، وأن يطيعه في أمره ونهيه، وأن يدعو إليه، وأن يصبر على ذلك"[52].

ثم أوضح بأن التواصي بالحق ربع النجاة، ومع هذا أن علة وصف أمتنا بخير الأمة، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال سبحانه وتعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}(آل عمران: 110).

لا شك حينما نعدُّ الدعوة وسيلة مهمة لإصلاح المجتمع؛ لأنها ذات مقاصد سامية، وغايات نبيلة، حيث أشار النابلسي إلى بعض تلك الغايات من العملية الدعوية التي تعد كأفضل الأعمال على الإطلاق عند الله سبحانه تعالى؛ لأنها أفضل طريقة إلى معرفة الله، وأفضل طريقة إلى معرفة الإنسان حقيقته، بأنه أكرم مخلوق، وأنه مكلف بالعمل الصالح، وأن الدعوة أفضل طريقة لهداية الخلق إلى طاعة الله، وإلى العمل الصالح، ويرشد بها الناس إلى ما خلق من أجله وإلى خيري

الدنيا والآخرة، وكذا الدعوة أفضل طريقة لتنقل الإنسان من الجهل إلى العلم، ومن البعد عن الله إلى القرب، ومن دنس الشهوة إلى قدس الطاعة[53].

فقد اتضح لنا من كلام النابلسي بأن المقصد المهم للدعوة مع تعريف العباد بخالقهم، وأن يعرف الإنسان مكانته، وأهدافه في الحياة، فإذا فقد الصلة بالله، وجهل خالقه وحقوقه، وجهل مكانته وأهدافه ومراده، حصل في النفس البشرية ضياع، وأصبح فيها فراغ، وأُحدث فيها قلق لا تستقر معه النفس، واذا عمت هذه الخصال، اضطربت البشرية، فأكل الناس بعضهم بعضاً، وطحنت الأمم بعضها بعضا، وعاشت في فوضى، فلا أمان ولا سلام، ولا معيشة طيبة ولا اطمئنان، وأما إذا عرف العبد خالقه، وعلم مُراده، وعمل بذلك، استقرت النفس، واطمأن القلب، وحصلت الاستقامة في تصرف الأفراد والمجتمعات، ولا يحصل كل ذلك إلا بالدعوة إلى منهج الخالق المنان[54]، مع أن الدعوة سبيل إلى هداية الناس، وإلى اكتساب العلم والبعد عن الجهل، وهجر المنكرات والبعد عن إطاعة النفس والشهوات.

ثم أشار في مكان آخر إلى أن أهم مقصد الدعوة إلى منهج الله، هو نشر الصلاح والوقاية من الفساد، وتكمن في تعميم الهدى؛ لأنّه حينما تعمم الهدى لا شك أنّه يؤدي إلى ضيق دائرة الفساد، وتقليص المنكرات وقطعها، وتؤثر على وجود الصلاح في المجتمع[55].

ويقول في موضع آخر: "إن نشر الحق من أجل الاستقرار، ومن أجل الحياة الآمنة، فأنت مسلم، مؤمن، لا تكذب، ولا تسرق، ولا تزني، ولا تقتل، وحينما تعمِّم الهدى؛ يصلح المجتمع، فلا يسرق مالك، ولا تنهب ثروتك، ولا يذلّ أولادك" [56].

وظاهر كلامه أن من مقاصد الدعوة سعادة العباد في الدارين؛ لأن اهتداء الخلق إلى طريق الحق، يُعرفُّهم بحقوقهم وواجباتهم، تجاه ربهم، وتجاه من يتعايشون معهم؛ من أهل وأقرباء، وأصحاب، ومن عرف حقوقه وواجباته، وصدق في أدائها، أمن الناس وأمنوا منه، ونال حقه، ونالوا حقوقهم، وإذا حصل ذلك، عاش الناس جميعاً عيشة السعداء، فلا خوف يهددهم، ولا فساد ينغصهم[57].

وفي الختام نقول: والدعوة إلى الله تعالى بشروطها وأسلوبها الشرعي وسيلة من وسائل الإسلام في إصلاح ما أفسد في المجتمع، ووسيلة لهداية الكفار وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإرشاد المؤمنين والتّذكير لهم.

وبالدعوة يكون الناس أقرب إلى الخير والصلاح، بعيدًا عن الشر والفساد، وبالعكس كلما ضعفت الدعوة في تنفيذها أو انحرفت عن نهجها كان الناس أقرب إلى الفساد، وأبعدَ عن الصلاح.

وكل ما انتشر في المجتمعات من التخلف الديني والفساد العقائدي والانحراف المنهجي والفساد الأخلاقي والتطرف الفكري والاعوجاج في التطبيق العملي، كان بسبب التقصير في الدعوة إلى الله أو الابتعاد عن المقاصد السامية التي وضعها الإسلام له، أو لغياب منهجية الاعتدال فيها.

لذا أصبح من المهم اتخاذ الدعوة كوسيلة متأثرة، بمنهجية معقولة مبني على أسس متينة، كي يعم الصلاح، وينقطع الفساد في المجتمع.

المطلب الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عرف علماء اللغة المعروف بأنه: ضد المنكر، وهو اسم مفعول من (عرَفَ)، فكل ما تعرفه النفس من الخير سواء كان قولا أو فعلا فهو المعروف[58]، وأما المنكر: فهو اسم مفعول من (أنكرَ) وهو ضد المعروف[59].

ومن الواضح أن هنا علاقة واضحة بين المعنى اللغوي والشرعي لكلمتي المعروف والمنكر، وقد وضح الدكتور محمد راتب النابلسي عند تفسير قوله تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(التوبة: 112)، حيث يوجه إلى معنى المعروف بأنه كل ما يوافق مع الفطرة السليمة، وجاء الوحي بتصديقه، لأن الفطرة السليمة مطابق مع كل الشرائع أتم المطابقة، فيستند بقوله: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}(الروم: 30)، ولكن المنكر عكس ذلك بأنه مخالف مع الفطرة وكل الشرائع[60].

ويُعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مُهمات الدين الإسلامي، ومسؤولية أخلاقية لا مجال للتقصير فيها، وعملية مهمة لحفظ الدين والمبادئ والقيم والسلوك في المجتمع، إذ هو دعوة إلى التحلّي بالفضائل، وترك المنكرات والفساد والرذائل، ويمثل هذا المبدأ الأصيل بضوابطه التي وضع له وسيلة ناجعة لإصلاح الفرد والمجتمع.

ومن أجمل ما قيل في أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخطورة إهماله عند المسلمين في المجتمع، ما قاله الإمام الغزالي: "فإن الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن الْمُنكرِ هو القطبُ الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد..."[61].

ويُعتبر إصلاح المجتمع من خلال فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مهمة الأنبياء:، وهو وسيلتهم المتأثرة في إصلاح مجتمعهم وفق المنهج والرسالة التي أعطاهم الله إياهم للقيام بعملية الإصلاح، بحسب الجوانب التي تحتاج إلى الإصلاح؛ لأن كل قوم نوعا من الفساد وكلّف الله أنبياءه بالوحي أو الرسالة في مواجهة هذا النوع من الفساد، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد راتب النابلسي فيقول: "وقديما كان لكل قوم مشكلات؛ لأن الأقوام في تباعد، فقوم لوط انحرفوا في العلاقات المثلية، وقوم شعيب بخسوا الكيل والميزان، وقومٌ آخرون أكلوا أموال الناس

بالباطل. وهكذا...؛ فلكل قوم نمط من المخالفات والمعاصي، وجاء التشريع معالجا لهذا النمط ذاته"[62].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الأعمال وأهم أمور الدين، ولا قوام لدين الإسلام وإصلاح المجتمع إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبين –الدكتور محمد راتب النابلسي– عن أهميته وضروريته للأمة الإسلامية عند تفسيره لقوله تعالى: { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(آل عمران:104)، ويرجع سبب هلاك بعض الأمم السابقة إلى ترك هذه الفريضة، استنباطا من قوله تعالى: {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}(المائدة: 79)، ويرى أن القيام بعملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمان لاستمرار الحق، وضعف الباطل ونهايته [63].

وفي سبب تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان في قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}(آل عمران: 110)، يقول النابلسي: لأن الإيمان بالله شيء داخلي، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء ظاهري، فالله تعالى قدم الظاهر على الباطن لأهميته[64]، ومعلوم في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفضائل الكثيرة، وتحصيل المصالح العامة والخاصة، ودرء المفاسد العامة والخاصة في المجتمع.

فاتضح لنا أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– عند النابلسي– هو المهمة التي بعث الله لها النبيين جميعا، وإذا ترك الأمة الإسلامية القيام بها انتشرت الضلالة وفشا الفساد وشاعت الجهالة، وإذا غفل أفراد المجتمع عن هذا المبدأ العظيم سيؤدي حالهم إلى الضعف من جميع النواح.

ويرى النابلسي أن ما وقع فيه المجتمعات الإسلامية من المعاصي والآثام، سببها الكف عن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه حينما يكف المسلمون عن هذا المبدأ العظيم فإن الفتنة والفساد تنتشر حتى تصل إلى أغلب البيوت[65].

ومن حيث الشمولية والعمومية، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقتصر الفرد فقط، بل يتعدى تطبيقه إلى المجتمع، وكذا من حيث دائرته تتسع باتساع دائرة الحياة؛ وذلك لأن دائرة الأحكام الشرعيّة تتسع باتساع الحياة البشرية، فإنه لا يخلو أيّ حادث عن حكم الله تعالى منسوب إلى شريعة نبينا ﷺ، قال الإمام السمعاني[66]: "أنا نعلم قطعا أنه لا يجوز أن يخلو حادث عن حكم الله تعالى منسوب إلى شريعة نبينا محمد ﷺ"[67]، ولذا ما دام وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة شرعية، مأخوذة من توجيهات الشرع الحنيف، فإنّ دائرته تشمل كافة المجالات الحياة الإنسانية من الجانب الديني والفكري والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والبيئي وغيرها.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر –عند النابلسي– دوائر بعضها أوسع من بعض، فمنها: أن يجتهد المرء على إصلاح نفسه من خلال الوسائل التي تصلح النفس البشريّ التي أشار إليها القرآن والسنة النبوية، وأوضح النابلسي ذلك عند قوله تعالى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}(لقمان: 17)، فيقول: "فلم لم يقل الله: أقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحُجّ البيت؟ لم جاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد إقامة الصلاة؟ لأنك بالصلاة تصلح نفسك، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تصلح غيرك، ولن تستطيع أن تصلح غيرك إلا إذا أصلحت نفسك، إذا أقم الصلاة لإصلاح ذاتك، ثم اؤمُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر لإصلاح غيرك..."[68].

ولا يقتصر أمر الإصلاح على النفس فقط، بل يتعدى إلى الزوجة والأولاد والأقرباء والجيران والأصدقاء، وإلى غيرهم مادام يرى فيهم خيرا، وفي ذلك يقول النابلسي: "فيجب أن تحاول أن تهدي الآخرين؛ أهلك، وزوجك، وأولادك، وجيرانك، وأقرباءك، وزملاءك في العمل، وكل إنسان توسّمت فيه الخير؛ لأنك مأمور بذلك، فليس القصد أن تكون وحدك سعيدا، أنت إنسان في مجتمع، فإذا سعد المجتمع، سعدت معه، وإذا شقي المجتمع؛ شقيت معه، وحينما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تصبح امرئاً صالحا في مجتمع صالح، فإذا وصلت، فأوصل غيرك، وأعنه على الإيصال، وإذا عرفت؛ فعرف غيرك، وإذا سعدت؛ فأسعد غيرك، وإذا أردت أن تسعد؛ فأسعد الآخرين"[69].

المطلب الخامس: القوة الشاملة

تعد القوة وسيلة من وسائل إصلاح المجتمع، ونقصد بمعنى القوة المعنى العام والشامل على جميع العناصر التي تتكون منها القوة، كما هو مذهب عدد كبير من المفسرين[70] في تفسيرهم لقوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّاللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...}(الأنفال: 60)، بأن القوة يقصد بها المفهوم الواسع الشامل، وإلى هذا ذهب الدكتور النابلسي بأنه جاءت كلمة (قوة) في الآية غير معرفة، وذلك يفتح المجال أمامها لتشمل كل قوة يستعان بها، أي قوة علمية، وبدنية، وسياسية، ومالية، وصناعية، فقال: "فإن قوله تعالى {مِّن قُوَّةٍ} نكرة عامة؛ كي تشمل كل أنواع القوة التي تأتي على خواطرنا فهي تفيد استغراق أفراد النوع، ففي عصر ما يكون الإعلام قوة كبيرة، وفي عصر آخر تكون الأقمار الصناعية قوة، لأنها تستوعب كل الأرض، فكل عصر له قوة"[71].

ثم يضرب المثال لتوسع أشكال القوة في هذا العصر بكثرة أنواع الأسلحة والقوة العسكرية، والتطورات الحديثة مثل الأقمار الصناعية، ووسائل الإعلام، والمعنويات، فكل ذلك يعد قوة.

ثم يشير النابلسي إلى بعض أنواع القوة بتفصيل أكثر، فيقول: المنصب والجاه قوة اذا استعمل صاحبه لنصر الحق ومنع الباطل، والعلم قوة، بحيث تكون وسيلة متأثرة في القضاء على الجهل

والخرافات والأباطيل، وكذا المال قوة، لأن المال قوام الحياة، فتأثيراته على المجتمع كثيرة، فبالمال يزيل شر الفقر، وبالمال مخاطرات الفقر بعيدة، لأن الفقر يكاد يكون كفرًا، يكاد يكون إرهابًا، يكاد يكون جريمة، ، لأن الفقر والتخلف مترافقان، والإنسان حينما كان قويا فيكون حراً[72].

ويقول في موضع آخر: " يجب أن تعدّ لعدوك أعلى درجات القوة، باستنفاد كل وسائل القوة، والمال قوة، والتنظيم قوة، ورفع مستوى الإنسان قوة، والمعلومات قوة، واستخدام الوسائل الحديثة قوة"[73].

ويبدو لنا من كلام النابلسي أن القوة التي يحتاج إليها المجتمع الإسلامي حتى تكون وسيلة متأثرة في الحفاظ على صيانة المجتمع من الفساد، لابد أن يتركب من العناصر المعنوية والحسية.

والعناصر المعنوية تمهيد متين لاكتساب القوة الحسية، وهي أسباب لتوفير القوة، وأنواعها كثيرة، حيث أشار النابلسي إلى بعض أنواعها، مثل الإيمان بالله وحده، والقيم، والأخلاق، والاستعانة بالله، كل ذلك يرفع معنويات المؤمن، وهذه المعنويات تعطي للإنسان قوة هائلة [74].

وفي الحقيقة إذا كانت معنويات الأفراد في المجتمع سامية، فيكون الأخذ بعناصر القوة الحسية من العلم والثروة ووسائل الإعلام والقوة العسكرية – التي من أهم عناصر القوة الحسية –هينة وميسرة.

وذهب النابلسي إلى أن الاعتماد على استعمال القوة الصلبة[75] في إخضاع الآخرين معركة لا تدوم، لذا فإننا كمجتمع إسلامي نحتاج إلى اتخاذ الوسائل وعناصر القوة الناعمة، ويبدو من قوله أنّه أصبح في زماننا كثير من الوسائل والطرق التي تعطي للدول والمجتمعات الإسلامية القوة على محاربة الأعداء وصيانة المجتمع من كيدهم ومخاطراتهم المادية والمعنوية، بديلاً من الحروب التي قد تسبب إلى مشاكل غير مرضية بالنسبة للدول الإسلامية القوة[76].

وكذا قد ثبت عن طريق التجربة التأريخية أن السيطرة والإصلاح عن طريق القوة العسكرية لا تكون مستدامة لمدة طويلة، ويتطلب أخذ الاحتياطات المستمرة للحفاظ على مصالح البلاد من العدو ومخاطراتهم، ولكن الإصلاح والسيطرة عن طريق القوة الناعمة قد يؤدي إلى إقناع الآخرين عن طريق الوسائل الدبلوماسية والإعلام والاقتصاد والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء كان على الصعيد الخارجي أو الداخلي فيكون نتائجه شاملة ومستمرة.

واتضح لنا مما سبق من كلام النابلسي أن القوة التي كانت وسيلة للإصلاح من كل النواحي، يجب أن تكون شاملا بحسب متطلبات العصر، ففي كل عصر متطلبات خاصة، مع أنه ذهب إلى أن عناصر وأشكال القوة لابد أن تكون شاملا، حتى تتحقق عملية الإصلاح في المجتمعات، ونتائجه مثمرة.

وبهذا المفهوم العام للقوة وافق مع من ذهب إلى أن قوة المجتمعات لابد أن تتحقق كلها في دائرة العناصر الثلاثة الرئيسية للقوة وهي: المعرفة والثروة والقدرة القتالية.

حيث تتجسّد(المعرفة) في العلماء والخبراء المتخصصين، و(والثروة) في المتخصصين الاقتصاديين ورجال الأعمال والأغنياء، و(القدرة القتالية) في القوة العسكرية من القادة العسكرية والجند ووسائل الحرب.

فلابد من تناسق تام بين تلك العناصر وفق قاعدة معينة، حيث تدور (الثروة والقدرة القتالية) في مدار (المعرفة) لتكون السياسة الحكيمة والقيادة الموفقة، ونجاح بعض الدعوات الإصلاحية في الماضي متوقف على معنى القوة بهذا المفهوم(77).

الخاتمة:

وفي ختام بحثنا نودّ الإشارة إلى أهم ما توصلنا إليها:

1. أن المقصود من وسائل الإصلاح، كل وسيلة تخدم عملية الإصلاح ويساعد على تحقيقها، كما أن مفهوم الإصلاح هو التغيير والتقويم نحو الأحسن والأفضل من سابقه، عن طريق الأخذ بالوسائل التي أرشدنا إليها الإسلام في جميع شؤن الحياة، من جهة تثبيت أكبر قدر من المصالح، ودفع أكبر قدر من المفاسد للفرد والمجتمع.

2.للإصلاح أهمية كبيرة في إزالة الفساد والقضاء عليه بشكل سليم، من أجل تحقيق السعادة وتحقيق أعلى مستويات الصلاح للفرد والمجتمع، ويبرز أهميته في أن الإصلاح منهج الأنبياء والمرسلين جميعا، ومن أهم مقاصد الشريعة، وكذا سبب للسعادة ودفع الهلاك والضنك عن المجتمعات.

3.لابد لكل عملية إصلاح من منهج يسير عليه، ومنهج الإسلام بخصائصه الشمولية والوسطية وتطابقه مع الفطرة والعقل منهج واحد صالح لإصلاح الأفراد والمجتمعات في كل زمان ومكان، وفي كل مجالات الحياة، ولكن مع ذلك تجدر الإشارة إلى أن منهج الإسلام بصفاته الكمالية لابد من عرضه وتطبيقه حسب نظام خاص ومنهجية معينة.

4.العقيدة السليمة وسيلة مؤثرة على سلوك الفرد في المجتمع؛ لأن كل سلوكيات الفرد ناتجة عن تصورات عقدية، ولا يكون السلوك صالحا حتى تكون العقيدة سليمة.

5.الدعوة إلى الله تعالى بشروطها وأسلوبها الشرعي وسيلة من وسائل الإسلام في إصلاح ما أفسد في المجتمع، ووسيلة لهداية الكفار وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإرشاد المؤمنين والتّذكير لهم.

6.الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل الإصلاح، ولا قوام لدين الإسلام وإصلاح المجتمع إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا غفل أفراد المجتمع عن هذا المبدأ العظيم سيؤدي حالهم إلى الضعف من جميع نواحيهم.

7.القوة وسيلة رئيسية للإصلاح وحفظ المجتمع من الفساد، وذلك إذا حمل القوة على معانيها الشامل، بحيث تتكون من العناصر المعنوية والحسية، وتكمن دواعي وضرورية القوة الشاملة في

أنها وسيلة مهمة للدفاع عن مبادئ وقيم المجتمع الإسلامي، وانتشار الخير والصلاح في المجتمع، والردع للمفسدين من أجل الأمن والسلامة، وغيرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، 110/6. لسان العرب: ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط14، 1414هـ، 725/11. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، ٢٠٠١ م، 75/31.

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ، 94/3.

(3) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس 345/1. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، ١٩٨٧ م، 1/ 383. كتاب التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ص: 131. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، ٢٠٠٨ م، 2/ 1312.

(4) ينظر: الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه: باسم الزبيدي، مؤسسة الناشر، ط1، 2005م، ص: 11.

(5) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص: 561. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، دار السلاسل – الكويت، ط2، دت، 62/5.

(6) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: (661 – 728 هـ)، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، ومن مصنفاته: (السياسة الشرعية) و (الفتاوى) و (الإيمان). (الأعلام: الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، 44/1. وتذكرة الحفاظ: الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، 192/4).

(7) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة: ابن تيمية، دار عالم الفوائد، ط4، دت، ص: 94.

(8) هو محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن محمّد الشاذلي، ويعرف بابن عاشور، المفسر وأديب وخطيب، من مشايخه: الأستاذ الشيخ محمّد صالح الرضوي، والشيخ محمّد النجار، والشيخ محمّد العزيز بن محمّد وغيرهم، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين، في تونس، مولده ووفاته بها، تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذا فيه فعميدا، وكان من أنشط أقرانه دؤوبا على مكافحة الاستعمار، ومن مصنفاته: (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و(مقاصد الشريعة الإسلامية)، وكتاب (أليس الصبح بقريب).(الأعلام: الزركلي، 325/6، تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ (ت ١٤٠٨ هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٩٤ م، 304/3–307).

(9) التحرير والتنوير: طاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، دط، ١٩٨٤هـ، 39/1.

(10) فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم: محمود علي عبد الحليم، دار التوزيع، القاهرة، ط1، 1994م، ص: 15.

(11) الخطاب الإصلاحي في المغرب: عبد الإله بلقزيز، دار المنتخب، بيروت، ط1، 1997م، ص: 15.

(12) ينظر: تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان، عمان- الأردن، ط1، 2016م، 165/3.

(13) ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، 253/14.

(14) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب، وزارة الأوقاف، قطر، 2004م، 194/3.

(15) لهذا المعنى ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، 20/ 303، وتفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م ، 6/ 131، والتفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، ط10، ١٤١٣ هـ، 3/ 346، وقد جاء في أثر عن عبد الله بن مسعود أنه قال: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنِ كَثْرَةِ الرَّدِّ). رواه الدارمي في سننه، برقم: ٣٣٥٨، والحاكم في المستدرك، برقم: ٢٠٤٠. والبيهقي في شعب الإيمان، برقم: ١٨٣٢.

(16) تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 202/5.

(17) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، ٢٠٠١ م، 454/15.

(18) ينظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، 352/14. وينظر: تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد رضا، 106/9.

(19) تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 596/3.

(20) ينظر: مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، 18/ ٤١٠.

(21) ينظر: تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 476/4.

(22) المصدر نفسه، 165/3.

(23) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، ١٩٩٩م، 243/2.

(24) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: الدكتور حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004م، 33/1.

(25) وقد ذهب بعض العلماء بالفرق بين الدين والشريعة، بأن الشريعة: "هي الطريقة المأخوذة فيها إلى الشيء، والدين: ما يطاع به المعبود".(معجم الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط1، 1412هـ، ص: 299، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام: طاهر بن عاشور، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2005م، ص: 15)، وقال النابلسي: "الدين واحد وأما الشرائع؛ فمختلفة بحسب العصور والتطورات، فالله عز وجل يقول: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى }(الشورى: 17)، وقديما كان لكل قوم مشكلات؛ لأن الأقوام في تباعد، فقوم لوط انحرفوا في العلاقات المثلية، وقوم شعيب بخسوا الكيل والميزان، وقومٌ آخرون أكلوا أموال الناس بالباطل. وهكذا...؛ فلكل قوم نمط من المخالفات والمعاصي، وجاء التشريع معالجا لهذا النمط ذاته".(تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 87/3).

[26] لسان العرب: ابن منظور 293/12. وتاج العروس: الزبيدي 340/8

[27] أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط9، 2001م، ص: 10-11.

[28] ينظر: موسوعة الأعمال الكاملة: محمد الخضر حسين، دار النوادر، سوريا، ط1، 2010 م، 59/5.

[29] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 555/7.

[30] المصدر نفسه، 555/7.

[31] المصدر نفسه ، 417/1-418.

[32] المصدر نفسه ، 416/6، 417.

[33] المصدر نفسه ، 410/1، 409

[34] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وأحمد محمد السيد، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، ١٩٩٦ م، 388/1.

[35] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 126/7.

[36] ينظر: الإسلام رسالة الإصلاح: مناع القطان، د.ط، 1383هـ، ص: 19.

[37] ينظر: الإسلام رسالة الإصلاح: مناع القطان، ص: 20.

[38] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 87/3.

[39] المصدر نفسه ، 447/3.

[40] المصدر نفسه ، 87/3.

[41] ينظر: المصدر نفسه ، 192/6.

[42] المصدر نفسه ، 629/3.

[43] ينظر: أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة: الدكتور عثمان بن جمعة صميرية، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، الجدة- المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م، ص: 47.

[44] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 6/7.

[45] ينظر: المصدر نفسه ، 484/8.

[46] المصدر نفسه ، 333/7.

[47] المصدر نفسه ، 31/6.

[48] الموافقات: الشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1997م، 367/1.

[49] ينظر: أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة: الدكتور عثمان بن جمعة، ص: 167.

[50] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 133/5.

[51] أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، دط، 2001م، ص: 5.

[52] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 99/10.

[53] المصدر نفسه ، 273/4.

[54] ينظر: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر: عدنان بن محمد آل عرعور، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ط1، 2005م، ص: 66. وينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية: سعد عبدالله سعد القعود، رسالة ماجستير مقدم إلى كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية، 14432هـ، ص: 26-35.

[55] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 272/4.

[56] المصدر نفسه ، 344/6.

[57] ينظر: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر: عدنان بن محمد آل عرعور، ص: 89.

[58] ينظر: لسان العرب: ابن منظور، 239/9. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، 135/24. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، 1487/2.

[59] لسان العرب: ابن منظور، 233/5، تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، 290/14. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، 2281/3.

[60] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 260/4، 160/2.

[61] إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم، ط1، 2005م، 306/2.

[62] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 87/3.

[63] المصدر نفسه ، 143/8.

[64] المصدر نفسه ، 160/2.

[65] المصدر نفسه 33/4.

[66] هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي، الإمام العلامة مفتي خراسان الحنفي ثم الشافعي، (426 – 489 هـ)، تفقّه على يد والده الإمام أبي منصور حتّى برع في مذهب أبي حنيفة وبرّز على أقرانه، وسمع أباه، وأبا غانم أحمد بن علي الكراعي وهو أكبر شيوخه، وكان بحراً في الوعظ، حافظاً لكثير من الرّوايات والحكايات والنّكت والأشعار، فظهر له القبول عند الخاص والعام، له مصنفات منها: (تفاسير السمعاني) و(الانتصار لأصحاب الحديث) و(القواطع) في أصول الفقه.(ينظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985، 115/19. و تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 2003م، 642/10، والأعلام: الزركلي، 303/7).

[67] قواطع الأدلة في الأصول: أبو المظفر السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1999 م، 160/2.

[68] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 181/7.

[69] المصدر نفسه ، 181/7، 165/3.

[70] ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، 499/15. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، 55/10. وينظر: تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص: 324.

[71] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 74/4.

[72] ينظر: المصدر نفسه ، 75/4.

[73] المصدر نفسه ، 73/4.

[74] المصدر نفسه ، 82/4

[75] مصطلح سياسي تطلق على القوة العسكرية والاقتصادية، ومقابلها القوة الناعمة التي تطلق على جميع أنواع القوة المعنوية والحسية. ينظر: (تطور مفهوم القوة في المنظور الواقعي: الباحث: مناصرية وزنة، رسالة ماجستير مقدم إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2021م، ص: 37، 22).

[76] تفسير النابلسي: الدكتور محمد راتب النابلسي، 73/4.

[77] ينظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس: الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ط3، 2002م، ص: 353-354.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة: الدكتور عثمان بن جمعة صميرية، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، الجدة- المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م.
3. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم، ط1، 2005م.
4. الإسلام رسالة الإصلاح: مناع القطان، د.ط، 1383هـ.
5. الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه، باسم الزبيدي، مؤسسة الناشر، ط1، 2005م.
6. أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط9، 2001م.
7. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: طاهر بن عاشور، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.
8. الأعلام: علي بن فارس، الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، ٢٠٠٢ م.
9. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، ١٩٩٩م.
10. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الزَّبيدي، دط، ٢٠٠١م.
11. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 2003م.
12. التحرير والتنوير: طاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، دط، ١٩٨٤هـ.
13. تذكرة الحفاظ: الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
14. تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ (ت ١٤٠٨ هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٩٤ م.
15. تطور مفهوم القوة في المنظور الواقعي: الباحث: مناصرية وزنة، رسالة ماجستير مقدم إلى كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2021م.
16. تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن): عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

17.تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، ٢٠٠١ م.

18.تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

19.تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419هـ.

20.التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، ط10، ١٤١٣ هـ.

21.الخطاب الإصلاحي في المغرب – التكوين والمصادر: عبد الإله بلقزيز، دار المنتخب، بيروت –لبنان، ط1، 1997م.

22.السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّة: ابن تيمية، دار عالم الفوائد، ط4، دت.

23.سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985.

24.شعب الإيمان: البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط1، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

25.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، ١٩٨٧ م.

26.فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

27.فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية: سعد عبدالله سعد القعود، رسالة ماجستير مقدم إلى كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى– المملكة العربية السعودية، 14432هـ.

28.فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم: محمود علي عبد الحليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة– مصر، ط1، 1994م.

29.قواطع الأدلة في الأصول: أبو المظفر السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1999م، 160/2.

30.كتاب التعريفات، الجرجاني: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

31.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة – بيروت.

32.لسان العرب: ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط14، 1414هـ، 725/11.

33.المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ١٩٩٠م.
34.مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي): الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، ٢٠٠٠ م.
35.معجم الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط1، 1412هـ.
36.معجم اللغة العربية المعاصرة: الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، ٢٠٠٨ م.
37.معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
38.مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
39.المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وأحمد محمد السيد، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، ١٩٩٦ م.
40.مقاصد الشريعة الإسلامية: طاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م.
41.منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر: عدنان بن محمد آل عرعور، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ط1، 2005م.
42.منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: الدكتور حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004م.
43.الموافقات: الشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1997م.
44.موسوعة الأعمال الكاملة: محمد الخضر حسين، دار النوادر، سوريا، ط1، 2010 م.
45.الموسوعة الفقهية الكويتية: صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، دار السلاسل – الكويت، ط2، دت.
46.هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس: الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ط3، 2002م.